

التغيير الاجتماعي

السؤال الهام الذي يجب ان يسأله اي مراقب او باحث هو « ما نوع ودرجة التغيير الاجتماعي الذي حصل في المخيمات في ربع القرن الماضي ؟ » .

من الصعب ملاحظة وقياس التغيير الاجتماعي في مجتمع مطلق وغير صناعي . لذلك قد يقول العديد من المراقبين ان مجتمع المخيم كوحدة اجتماعية لم يتغير اطلاقا . ولكن هذا غير صحيح لان درجة معينة من التغيير قد حصلت . والتغيير لم يكن كبيرا ومثيرا لان القاعدة الاقتصادية للمجتمع لم تتغير .

ويمكن ملاحظة التغيير الاجتماعي في المخيمات في النواحي التالية :

(ا) لقد خفت الخلافات العشائرية بين القرى المختلفة داخل كل مخيم وما لبثت ان انتهت . فمنذ عدة سنوات لم تقع اية مشاجرات جماعية بين القرى داخل المخيمات . ويرجع هذا التغيير الى عاملين هما : ازدياد الوعي الوطني عند الناس ، وازدياد عدد المتعلمين في المخيمات .

(ب) حصل تغيير في نوع القيادة السياسية المقبولة جماهريا . وكان التغيير بالاتجاه التالي : من الرفض التدريجي للقيادات التقليدية الى القبول التام بالقيادات الثورية . كذلك حصل لأول مرة ان قبلت الجماهير قيادات غير محلية مثل المسؤولين الفدائيين من غزة . وقبول هذه القيادات « الخارجية » مقتصر على المجالين السياسي والعسكري ، ولكن هناك ميلا لقبولها على المستوى الاجتماعي ايضا ، اذ يقوم الناس بدعوة القادة الفدائيين احيانا لحل مشكلة اجتماعية ما او للتحكيم في خلاف اجتماعي ما .

(ج) لقد استبدلت الحالة النفسية العامة المتصفة بالانكسالية والشعور بالعجز واحتقار انذات بحالة نفسية متصفة بالاستقلالية والشعور بالقيمة الذاتية واحترام الذات .

(د) لقد تغيرت الهوية الذاتية من « لاجيء » الى « فلسطيني » .

(هـ) حصل تغير بسيط او معقول في الموقف من المرأة . فبعض الرجال يسمحون الان لنسائهم (زوجاتهم ، بناتهم ، امهاتهم ، او اخواتهم) بالعمل . وبعضهم لا يعترض على انثياب الحديثة المتحررة نسبيا . وبعضهم يشجعون نساءهم على تحصيل دراسته ثانوية او جامعية او مهنية . وقد زال بشكل عام فرض « ازواج المستقبل » على الفتيات ، وان كان الاهل ما زالوا يلعبون دورا هاما في زواج بناتهم ، وقد اكتسبت الفتيات حرية الاختيار باشراف الاهل ، وحرية قول « لا » لرجل اختاره اهله دون استشارتها . ولكن ما زالت الفتيات لا تملكن حرية الخروج مع الشبان قبل الزواج او الخطوبة (لكنهن بالطبع يخرجن سرا كما يحدث في كل المجتمعات المحافظة) .

(و) هناك هوة كبيرة بين آراء الشباب وآراء الكبار حول عدة مسائل اجتماعية وحول بعض العادات والتقاليد ثم حول انماط التصرف السائدة . ولكن هذه الهوة لم تصل الى حد حدوث انفصال تام بين الجيلين ، والتوازن في العلاقة ما زال قائما نتيجة للروابط التقليدية الوثيقة . ومن الصعب جدا تقدير هذا التغيير وتحديدته بدون دراسة تجريبية وموضوعية .

(ز) لقد نجح الشباب في تحسين علاقة المجتمع الفلسطيني في المخيم مع المجتمع اللبناني . وقد اصبح المجتمع الفلسطيني في المخيم اكثر انفتاحا ويحاول الشبان مد جسور ، على عكس آباءهم الذين كانوا سلبيين ومنعزلين على انفسهم . وهذا التغيير لا يعود بالطبع الى جهود الشبان وحدها ، وانما يرجع ايضا الى تغير في البيئة وفي الظروف السياسية للفلسطينيين واللبنانيين .